قصة شعيب عليه السلام[١]

قيل: إنّ اسم شعيب يشرون[٢] بن صيفون[٣] بن عنقا[٤] بن ثابت[٥] بن مَدْيَن بن إبراهيم.

وقيل: هو شعيب بن ميكيل من ولد مَدْيَن.

وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم، وإنّما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم[٦]، وهاجر معه إلى الشام، ولكنّه ابن بنت لوط، فجدّة شعيب ابنة لوط[٧].

وكان ضرير البصر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾[٨]؛ أي ضرير البصر[٩].

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٤١، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٧٥، تاريخ الطبري ١/٣٢٥، تفسير الطبري ١٢/٥٥٤ و ٥٦١ ـ ٥٧٢ و ١٥/٤٤٣ ـ ٤٦٥، زاد المسير ٣/٢٢٨ ـ ٢٣٣ و ٤/١٤٨ ـ ١٥٤ و ٦/١٤١ ـ ١٤٥، الكسائي ١٩٠، مروج الذهب ١/٤٩، عرائس المجالس ١٣٠، نهاية الأرب للنويري ١٣/١٦٧، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٣١٩، البداية والنهاية ١/١٨٣، تفسير ابن كثير ١/١٦٢ ـ ١٧٨ و٣/٢٠٣ ـ ٢٢٨ و ٤/٤١٠ ـ ٤١٧ و ٤/٤٩٧ ـ ٥٣٦ و ٥/١٧٧ ـ ١٧٨ و ٢٦٣ ـ ٢٩٧، مرآة الزمان ١/٣٨٥.

(٢) المثبت في متن الطبري ١/٣٢٥ «يزون». وقال الشرقي بن قطامي: اسم شعيب القديم: يثرون بالعبرية. وشعيب بالعربية. (مرآة الزمان ١/٣٨٥) وقال ابن قُتيبة: إنما قيل له شعيب، لأنه كان يدعو: اللهم بارك لي في شعبي، ويقال: شعيب. خطيب الأنبياء. (المعارف ٤١).

(٣) في النُسخ: (ت) و (ر) والطبعة الأوربية، وطبعة صادر «ضيعون» والمثبت عن النسخة (ب)، وتاريخ الطبري، وعرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق.

(٤) وفي نسخة أخرى «عيفا»، كما في الطبري، ومرآة الزمان، وعرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق. والمثبت يتفق مع البدء والتاريخ.

(٥) كذا في الأصول، وفي تاريخ الطبري وعرائس المجالس وتهذيب تاريخ دمشق «نابت».

(٦) أنظر حول اسمه: عرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق، والبدء والتاريخ، ومرآة الزمان، ومروج الذهب، وغيره.

(٧) الطبري ٣٢٥.

(٨) هود/٨٤.

(٩) الطبري ١/٣٢٥، عرائس المجالس ١٣٠.

وكان النبيّ، ﷺ إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء». بحُسن مراجعته قومَه؛ وإنّ الله أرسله إلى أهل مَدْيَن، وهم أصحاب الأيكة.

والأيكة: شجر مُلْتَفّ. وكانوا أهل كُفْرٍ بالله، وبخس للنّاس[1] في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم، وكان الله وسّع عليهم في الرزق، وبَسَط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كُفرهم بالله، فقال لهم شعيب: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[2].

فلمّا طال تماديهم في غيّهم وضلالهم، ولم يزدهم تذكيرُ شعيب إيّاهم وتحذيره عذابَ الله إيّاهم إلّا تمادياً، ولما أراد إهلاكهم سلّط عليهم عذاب يوم الظُّلّة، وهو ما ذكره ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]. فقال: بعث الله عليهم وَقَدَة[4] وحرّاً شديداً فأخذ بأنفسهم، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرّية، فبعث الله عليهم سحابةً فأظلّتهم من الشّمس، فوجدوا لها بَرْداً ولذّة، فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحتها، فأرسل الله عليهم ناراً.

قال عبد الله بن عبّاس: فذلك ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[5].

وقال قَتَادة: بعث الله شعيباً إلى أمّتَيْن: إلى قومه أهل مَدْيَن، وإلى أصحاب الأيكة، وكانت الأيكة من شجر مُلْتَفّ، فلمّا أراد الله أن يعذّبهم بعث عليهم حرّاً شديداً، ورفع لهم العذابَ كأنّه سحابة، فلمّا دنت منهم خرجوا إليها رجاء بَرْدها، فلمّا كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً، قال: فذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[5].

وأمّا أهل مَدْيَن فمنهم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل، فعذّبهم الله بالرجفة، وهي الزلزلة، فأُهلكوا.

قال بعض العلماء: كان قوم شُعَيْب عطّلوا حدّاً، فوسّع الله عليهم في الرزق، ثمّ عطّلوا حدّاً فوسّع الله عليهم في الرزق، فجعلوا كلّما عطّلوا حدّاً وسّع الله عليهم في الرزق، حتى إذا أراد هلاكَهم سلّط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقارّوا، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء، حتى ذهب ذاهبٌ منهم فاستظلّ تحت ظُلّة، فوجد رَوْحاً، فنادى أصحابَه: هلمُّوا

---

(١) في النسخة (ر): «الناس»، والمثبت يتّفق مع عرائس المجالس ١٣٠.

(٢) هود/٨٤.

(٣) الشعراء/١٨٩.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٣٢٧ «وَبَدَة» وهما بمعنىً واحد.

(٥) الشعراء/١٨٩ والخبر في: تاريخ الطبري ١/٣٢٧، ٣٢٨، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٣٢١.

إلى الـرَّوْح، فذهبـوا إليه سـراعاً، حتى إذا اجتمعـوا إليها ألهبهـا الله عليهم ناراً، فـذلك عذاب يوم الظُّلَّةِ[1].

وقـد روى عامـر، عن ابن عبّاس أنّـه قال لـه: مَنْ حدّثـك، ما عـذاب يوم الـظُّلَّةِ فكذّبه[2].

وقال مجاهد: عذاب يوم الظُّلَّةِ هو إظلال العذاب على قوم شعيب[3].

وقال زيد بن أسلم في قوله تعـالى: ﴿**يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ[4] تَـأْمُرُكَ أَنْ نَتْـرُكَ مَا يَعْبُـدُ آباؤنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ في أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ**﴾[5]؛ قال: ممّا كان ينهاهم عنه قطع الدراهم[6].

---

(١) الطبري ١/٣٢٨.
(٢) الطبري ١/٣٢٩.
(٣) الطبري ١/٣٢٨.
(٤) في طبعة صادر ١/١٥٩ «أَصَلَوَاتُكَ»، وهو غلط.
(٥) هود/٨٧.
(٦) الطبري ١/٣٢٩.